Journal home page: https://sej-lagh.com
ASJP: https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/644

مجلة التمكين الاجتماعي
المجلد 05 / العـدد 01 / مارس 2023 / ص ص 85 - 95

هوية الشباب بين الأصالة والحداثة

Youth Identity at the Crossroad of Originality and Modernity

بن علية إسماعيل

Smail Benalia

جامعة عمار ثليجي الأغواط (الجزائر)، البريد الالكتروني: sm.benalia@lagh-univ.dz

تاريخ الاستلام: 2023/02/09 تاريخ القبول: 2022/03/17 تاريخ النشر: 2023/03/31

ملخص:

إن الحديث عن هاجس الهوية كنظام من القيم والتصورات التي تميز مجتمعا ما لا يكاد يخلو من جدل ثنائية الأصالة والحداثة في الخطاب الأكاديمي. هذه الأخيرة فجرت أزمة هوية تتجلى أبعادها لدى المجتمع عامة وضمن الشباب خاصة. فقد أصبح الحديث عن الهوية على رأس أجندة القضايا الاجتماعية في ظل تحديات تزيل حدود الخصوصية المجتمعية وتنفي الكيان القومي وتهدم أسس التصنيف الطائفي والعرقي. ومما لا شك فيه أن التكنولوجيا تلعب دورا محوريا في خرق الهوية وتروج منهجيا لتبعية ثقافية تتنافى وقيمنا المتجذرة وعليه تمحي وجودنا الثقافي الأصيل. ولأن الشباب هم أكثر فئات المجتمع استجابة للتغيير، فإن هويتهم المحورية وبعدهم الثقافي الانتمائي على المحك. وعليه، تهدف هذه الورقة البحثية إلى تقديم مقاربة سوسيولوجية لإشكالية الهوية لدى فئة الشباب التي تتأرجح بين جدليات التمسك والتفكك، الوعي والتشتت، والأصالة والمواكبة في ظل الشرخ الاجتماعي المصاحب للتغييرات الديناميكية والتكنولوجية.

كلمات مفتاحية: *الهوية، الشباب، التغيير الاجتماعي، التكنولوجيا.*

ABSTRACT:

There is a wide consensus in the academic debate that youth and social identities have always been associated with the controversy between originality and modernity. The latter erupted an identity crisis whose dimensions are evident in society in general and among youth in particular. Indeed, the issue of identity has been placed on the top of social agenda especially in light of challenges that are gradually removing the societal privacy barriers, denying the national entity, and destroying the foundations of sectarian and ethnic classification. Undoubtedly, technology has played a central role in the breach of identity as it systematically promotes a cultural dependency which contradicts our deep-rooted values and thus erases our authentic cultural existence. Since young people are the most responsive group to societal change, their central identity and their cultural dimensions of belonging are at stake. Henceforth, this research paper provides a sociological approach to the issue of identity; among young people, which fluctuates between commitment and disintegration, awareness and dispersion, and between originality and change in light of the social rift associated with dynamic and technological changes.

Keywords: *identity, youth, social change, technology.*

- المؤلف المرسل: بن علية إسماعيل، البريد الالكتروني: sm.benalia@lagh-univ.dz

ISSN: 2676-234X | *Doi: 10.34118/sej.v5i1.3140* | EISSN : 2716-9006

1- مقدمة:

تتصف مرحلة الشباب بالبحث عن المتعة والترفيه والابتعاد عن الصرامة، والميل لكل جديد وحب التطرف والفضول والاطلاع، ومجتمعنا العربي المعاصر يشهد تغيرات واسعة النطاق، فالشباب في البلدان العربية عامة و في مجتمعاتنا يعيش أزمة هوية وبُعد انتماء، حيث تعد فئة الشباب من أكثر الفئات التي تتنوع استجاباتها اتجاه مكونات الهوية ما بين القبول و الرفض، وهي أكثر الفئات تأثرا بالتحديات التي تواجه الهوية عبر موجات و هجمات التغيير الاجتماعي والثقافي المتتالية، وذلك بحكم ما تتميز به مرحلة الشباب من ديناميكية وقدرة عالية على الحركة والتفاعل مع بعضهم البعض، فأسلوب الحياة الراهنة والتفتح على العالم الغربي من خلال تكنولوجيا الاعلام والاتصال الحديثة، ومحاولة اللحاق بركب التقدم التكنولوجي والحضاري، وضعت الشباب بين جدلية التمسك بهويته الثقافية والاجتماعية الأصيلة ، ومعاصرة التطور والتطلع لمستقبل أفضل على حساب تكوينه الاجتماعي والثقافي الخاص، وكلنا يلحظ ما يحدث من صراع هويات لدى الشباب الذي أصبح يعيش بين قابل في أحيان قليلة و رافض في كثير منها لثوابته وعاداته وتقاليده، ويظهر ذلك جليا في الآفات الاجتماعية والتفكك الاجتماعي والثقافي في المجتمع، وسنحاول في هذا المقال تسليط الضوء على تأثير التغير الاجتماعي والثقافي والتكنولوجي على هوية الشباب باعتبارهم أكثر الفئات في المجتمع معاناة وتأثراً .

2- الشباب والهوية:

2-1: الشباب:

يعتبر مفهوم الشباب من المفاهيم التي وقع فيها الخلاف، حيث اختلف الباحثون والمختصون حول تحديد هذا المفهوم، بسبب نظرة كل فريق إلى ما يتناسب مع فكرته وأهدافه التي ينشدها، وبناء على الاتجاهات المختلفة لكل فريق، فمنهم من يرى الشباب على أنه ظاهرة اجتماعية، ومنهم من يعتقد أنه مجموعة من الظواهر النفسية والجسمية والعقلية والاجتماعية (بوخلخال علي، 2018، ص 19).

عرّفت الأمم المتحدة الشباب لأغراضٍ إحصائية فمثلتهم في الفئة العمرية (15-24عاما)، وهذا التعريف كان في سياق الأعمال التحضيرية للسنة الدولية للشباب 1985، وأقرته الجمعية العامة في قرارها 36/28 لعام 1981، ويستلزم هذا التعريف الموجه إحصائيا للشباب بدوره اعتبار الأشخاص دون سن 14 سنة أطفالاً، ومع ذلك تجدر الإشارة إلى أن المادة 1 من اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الطفل تعرف الأشخاص حتى سن 18 سنة كأطفال، وكان من المأمول أن توفر الاتفاقية الحماية والحقوق لأكبر فئة عمرية قدر الإمكان في ذلك الوقت، خاصة لعدم وجود وثيقة مماثلة بشأن حقوق الشباب (منظمة الأمم المتحدة).

فبالإضافة إلى كل الضغوطات التي تعترض مسار الشباب خلال حياتهم، يمكن تفسير ظاهرة امتداد فترة الشباب بالطريقة التي يلجأ إليها هؤلاء لبناء مسارهم العمري إلى كون عملية بناء سن الرشد كمركز اجتماعي، وبناء الهوية التي تناسب هذا المركز هي عملية معقدة بالنظر إلى ما كانت عليه من قبل، بحيث لا ترجع إلى الأشكال التواصلية (عملية التنشئة الاجتماعية) من جيل إلى جيل، ولا إلى نموذج واحد مشترك بين الأولياء وأبنائهم، هكذا نجد بأن مرحلة الشباب هي مرحلة السن الجديدة التي يقوم فيها

بالتحضير والاستعداد للقيام بالاختيارات باعتبار هذا السن سن الاختيارات وتكوين الطموحات، ومنه التحديد المرحلي لهوية الشاب (رشيد جميدوش، 2013، ص ص 225 226).

فالشباب ظاهرة اجتماعية تشير إلى مرحلة من العمر تعقب مرحلة المراهقة، وتبدو خلالها علامات النضج الاجتماعي والنفسي والبيولوجي واضحة، ويعد الشباب من أكثر الشرائح الاجتماعية تفاعلا مع التغير الحادث في المجتمع، وتميل معظم المجتمعات إلى تحديد بداية مرحلة الشباب ونهايتها وفقا لمعايير عديدة، وقد تلجأ كما كان الأمر كذلك في المجتمعات التقليدية إلى طقوس معينة يتعين على الإنسان المرور خلالها كي يكتسب المكانة الاجتماعية التي يتمتع بها الشباب (سامية الساعاتي، 2003، ص 15).

2-2- الهوية:

إن علماء الاجتماع يعرفون الهوية بأنها " مجموع التصنيفات الانتمائية التي يرى بواسطتها الإنسان نفسه ومحيطه"، وهي تضم التصنيفات القائمة على اللغة والدين والعرق والجنس والأدب والموسيقى والعادات والتقاليد والوطن والتاريخ والطبقة والمهنة ... إلخ، وباختصار جميع الانتماءات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والفكرية، وما إلى ذلك من التصنيفات التي لها تأثير لا شعوري غالبا على سلوكيات الإنسان وتصرفاته تجاه الأفراد والمجتمع، وتجعل الناس يشعرون بأنهم يشتركون أو يختلفون مع أفراد آخرين من نوعنا البشري.

ولأن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه، ولا يستطيع العيش بمفرده، فإن ذلك يجعله يربط باستمرار علاقات تواصل مع أفراد آخرين من المجتمع، تواصل لا يمكن أن يكون ناجحا إذا لم يكن هناك شعور متبادل بالانتماء المشترك إلى نفس المجموعة (حمد الكوخي، 2014، ص ص 13-14).

وفي معجم مصطلحات الثقافة جاء تعريفها بأنها خيال يضفي نموذجا منتظما على التعقيد الفعلي والطبيعة الفياضة لكل من العوالم النفسية والاجتماعية، ويرتكز سؤالها على تأكيد مبدأ الوحدة والاستمرار، في مقابل التعدد والتغير والتحول، وهي تمثل للجماعة أو الأفراد تعبيرا جوهريا، أو خصائص ذاتية طبيعية تصدر عن التطابق مع الذات أو الفرد أو الكيان الجمعي المكتفي، وتذهب بعض الدوائر إلى أن الهوية هي كل ما يعبر عن تفرد المجموعات، وما يمنعهم من الصراع الفكري أو العملي، ويسمح ببقاء الحدود التي تفصل بين الجماعة، ويترجم العلاقات المتبادلة بين الحقائق العضوية والحقائق الدينية والجمالية والسياسية، وحقائق النسب، فهي عملية تنتج عن التفاعل بين الإنسان والمؤسسات الاجتماعية التي يعيش في إطارها (عبد العليم محمد إسماعيل 2022/12/28).

ومما لا شك فيه أنه تتحدد الهوية طبقا لطبيعة البناء الاجتماعي، والبنية الثقافية في المجتمع في مرحلة تاريخية بعينها، ومن ثم ينبغي أن تُفهم الهوية في إطار تحليل البناء الاجتماعي، وبنية الثقافة والتغيرات التي تلحق بهما، ومن ثم فإن ملامح وسمات الهوية ليست ثابتة أو مستقرة، بل إن التغير هو السمة الأساسية، غير أن هذا التغير يختلف كماً وكيفاً من مرحلة إلى أخرى، وفقا للظروف والمتغيرات الفاعلة والمؤسسة لهذا التغير (حنان عوض مختار، 2016، ص 96).

3- مكونات الهوية:

إن الهوية هي عبارة عن اتحاد ثلاثة عناصر أو مكونات هي: الهوية المعطاة، والهوية المختارة، والهوية المحورية، يمكن وصف هذه المكونات فيما يأتي:

3-1 الهوية المعطاة:

هي الخصائص أو السمات أو الظروف التي ليس للفرد فيها أي خيار، قد تكون الصفات التي ولد الفرد بها، أو تلك التي منحت إليه في الطفولة، أو في المراحل اللاحقة في حياته، فالعناصر التي يمكن أن تشملها الشخصية المعطاة هي مكان الميلاد، العمر، الجنس، ترتيب الولادة، الصفات الخلقية، أدوار عائلية معينة، الديانة.

3-2- الهوية المختارة:

هي الخصائص أو المميزات التي تختارها طواعية، قد تكون تلك التي تصف مكانتك أو مهاراتك، والأشياء التي تفضلها، ومن ذلك مثلا: المهنة، الهوايات، الاتجاه السياسي، مكان الإقامة والأدوار العائلية، وقد يشمل أيضا الديانة.

3-3: الهوية المحورية:

هذه هي الخصائص التي تجعلك متفردا بصفتك إنسانا، بعض هذه الخصائص تتغير مع مرور حياتك، وبعضها ثابت لا يتغير ومن أمثلتها: السمات الشخصية والسلوك والاعتقادات والقيم.

قد تتداخل بعض الصفات، وقد تظهر في مكونين من مكونات الهوية، وقد يضع بعض الناس الصفة نفسها أو الخاصية في تصنيفات مختلفة حسب نوع الاختيار الذي يرونه مناسبا لهم، على سبيل المثال: يمكن اعتبار الانتماء الديني جزءا من الهوية المعطاة أو الهوية المختارة.

بعض الخصائص غير موضوعية، فقد يختلف تفسير شخص ما لكلمة "متعلم" عن تفسير شخص آخر، وقد يفترض بعضهم الآخر أنك اخترت بعض الصفات، بينما من وجهة نظرك أنت لم يكن لديك أي خيار حيالها، وربما يكون من المتوقع منك أن تتجه نحو إكمال التجارة التي تقوم بها عائلتك من دون أن يكون لديك أي خيار في المهنة التي تريد القيام بها.

وأخيرا فإن السياق مهم أيضا، وقد يكون جزء من هويتك ومهما لك، لكنه قد لا يكون كذلك بالنسبة للآخرين، أو قد يكون مهما في حالات معينة فقط، يمكن أن تكون بعض جوانب الشخصية أو الهوية التي قد تبدو غير مهمة بالنسبة لك في غاية الأهمية، وقد تكون عقبة كبيرة في أثناء ممارسة عملك، وفي بعض المواقف ومع مجموعات معينة في موطنك، قد تستخدم الثقافة المحلية وسيلة لبناء علاقات مع الآخرين، لكن عند السفر إلى دول أخرى مختلفة قد لا تهتم باستخدام ثقافتك المحلية، وإنما تستخدم مستواك التعليمي والمؤهلات المهنية الأخرى (كيلي م-هانوم، 2009، ص 20).

4- الشباب والهوية:

إن مرحلة الشباب تعرف بناء نفسي وفكري وعقدي، وجدلية التمسك بأصالته ومواكبة العولمة والانبهار بالعالم الغربي، وأصل هذه الجدلية هو صراع القيم يكون بين قيم المجتمع المتقدم والقيم التقليدية السائدة في مجتمعنا الأم الذي يؤدي إلى حالة من التذبذب في الانتماء الثقافي.

ويمكن القول أننا أمام فئات ثلاث من الشباب ذوي استجابات مختلفة، الفئة الأولى هي الأكثر ارتباطا بهويتها، وعلى الخصوص الجزء الصلب أو القلب من الهوية، وهو القيم الدينية و الأخلاقية، وهؤلاء يشعرون بأن هويتهم في خطر شديد وأن الحل الوحيد هو السعي لحماية هذه الهوية بأي وسيلة، والمشكلة الأكبر أن هذه الفئة من الأصل كانت تعاني من أزمة هوية وطنية (حفيظة محلب، 2016، ص ص 76-77)، فالهوية عندها لم ترتبط بوطن قدر ما ارتبطت بدين، أما الاستجابة الثانية فهي استجابة متطرفة، وترتبط في الغالب بفئات الشباب الذين يعانون من الحرمان، وفي نفس الوقت يقعون تحت وطأة ثقافة الاستهلاك بشدة مما يجعلهم يبحثون عن الوسائل التي تشبع احتياجاتهم سواء كانت مشروعة أو غير مشروعة، كما يشعرون بالنقمة على الدولة والمجتمع اللذين تسببا في حرمانهم من أدنى حقوقهم، أما الفئة الثالثة وهي الفئة المتغربة من الأصل والتي تعيش على أراضي أوطانها على المستوى المادي، ولكنها بمشاعرها وميولها وثقافتها تعيش في مجتمعات أخرى، فهذه الفئة وهي شريحة قليلة من الشباب ميسورة الحال بدرجة كبيرة، تعاني من أزمة هوية مواطنة عن الأصل بحكم عدم رضاها عن واقع مجتمعاتنا وعدم تقبلها للقيم السائدة في هذه المجتمعات

ترتبط مسألة الهوية عند الشباب ارتباطا كبيرا بالمسألة الثقافية، يمكن القول أن المجتمع الجزائري عرف ويعرف حركية وديناميكية ثقافية كبيرة، وهذا بفعل تعدد وتعاقب مختلف الثقافات خلال مساره التاريخي، وذلك بفعل احتكاكه بها وبمختلف الحضارات التي مرت به(الرومانية، القرطاجية، العثمانية، العربية أو الأوربية)، كل هذا أحدث فسيفساء وتنوع ثقافي حاول الشباب ضمن هذه الوضعية التثاقفية أن يعمل ويتعايش في هذا الإطار تعايشا ثقافيا، مما أدى إلى ظهور تناقضات بين عناصر هذه الثقافات، الشيء الذي يشكل عائقا أمام تحقيق ذلك التكامل والتجانس بين أفراد المجتمع، والذي يمكن أن نلمسه عند فئة الشباب خاصة، وكل هذا تم بعد بروز نظام قيم حديثة بدءا من الاحتلال الفرنسي، وانتشارها أكثر مع التفتح على العالم وعولمة الاتصال.

إن ما يهيمن على كل النقاشات الدائرة حول الثقافة والكون في الجزائر هي تلك الازدواجية في الطرح، والمتمثلة في النقاش حول " التقليد والحداثة" أو " الأصالة والحداثة"، إننا أمام حشد وكم كبير، كما يشير إلى ذلك كمال راريو، من الكتابات التي تتناول هذه المحاور والتي تسيطر على الحقول السياسية، الاجتماعية والثقافية الجزائرية منذ عقود كبيرة، وأعيد إحياء النقاش فيها خلال الثمانينات، خاصة بعد الانتفاضات الشبانية التي عرفتها الجزائر، وإثارة المسائل الثقافية وكل الآثار التي خلفتها" سياسة صناعية" غير ناضجة من آفات كالهجرة الريفية مثلا وما أدت إليه هي الأخرى من مشاكل عرفها ويعرفها المجال الحضري، فعلماء الاجتماع أو علماء النفس الاجتماعي أو علماء النفس يتفقون حول نتيجة واحدة" تعايش" و" تواجد" لنموذجين، ولثقافتين متناقضتين ومتضاربتين.

ولقد أسهب الكثير من الباحثين أمثال ب. إتيان ون مقيدش وغيرهم في هذا السياق في القول بأن النقاش الثقافي يمكن حصره في مجال يتصادم فيه الماضي مع الحاضر، العادات بالتطور والتقدم، التكنولوجيا والمعرفة بالأمية والجهل...الخ، فغالبا ما يعبر ويقصد "بالتقاليد" معنى التخلف، وعلى العكس يأخذ مفهوم الحداثة أو العصرنة بمعنى المستقبل، والتكنولوجيا والتفتح، وهذا ما يؤثر على النسق التصوري لفئة الشباب (رشيد حمدوش، 2013، ص ص 97-98).

يعتقد "كلارك" أن الشباب ذي الثقافة الفئوية عادة يقومون بمحاولات جادة، لكي يكسبوا الحرية، ويحتفظوا بمساحة معينة إزاء الثقافة المسيطرة، وهؤلاء الشباب يحصلوا على مساحة ثقافية ضمن المؤسسات والمناطق المجاورة، ويتمتعون بوقت حقيقي للتسلية والترفيه، ولهم حيز لا بأس به في زوايا الشوارع، وأن ثقافتهم تتشكل جزئيا من ثقافة الوالدين من حيث الأصل (ربما من الطبقة العاملة أو الوسطى)، ولكنهم يتميزون عنهم والشباب يخلقون طابعهم المميز لحياتهم عبر اختيارهم لطريقة ارتداء الملابس والاستماع إلى أنواع معينة من الموسيقى، وهذه الأساليب الفردية للثقافة تمثل محاولة لحل المشاكل (فقط بطريقة متخيلة)، كونها تبقى بلا أمل على المستوى المادي الملموس (هارلمبس وهولبورن، 2010، ص 37).

وأصل مشكلة التمسك بالهوية في مجتمعنا هو تلاقي الثقافات التي تكون في نظر الشباب خاصة في مجتمعنا أنها ثقافة عصرية بالمقارنة مع قيم و ثقافتهم التقليدية، وبذلك يتحقق الاغتراب الذي هو تعبير عن عدم الرضا وعن الرفض للمجتمع وثقافته وجوهره الشعور بالفقدان، أي أن هذه الأزمة خلقت ما يسمى بالاغتراب الثقافي و التغريب، ولكن لا يمكننا أن نعمم هذا، ذلك أنه أثبتت الأحداث والدراسات الميدانية أن قطاعات واسعة من الشباب العرب قد توحي مظاهرهم و خطاباتهم بأن حسهم الوطني قد توقف أو انحرف، لكن عندما تمر أوطانهم وأمتهم بهزة سياسية أو عسكرية أو اقتصادية أو حتى مناخية، ترى الكثير منهم ينفض غبار الغربة ويرفع الأقنعة الزائفة ويكشف عن حالة وجدانية فياضة، ويبدي استعدادا مفاجئا للتفاعل الثقافي والاجتماعي، بل إن بعضهم يتجاوز لغة الاحتجاج ليبدي رغبة صادقة وعميقة في الحراك الاجتماعي.

ولكن رغم ذلك هناك أزمة هوية يعاني منها الشباب، وهي متأصلة في مجتمعنا خاصة مع هذه القيم والثقافات الوافدة من مجتمعات أكثر تقدما، ومع ما تعانيه مجتمعاتنا من ضعف وتخلف على كافة الأصعدة أمام النماذج الحضارية الأخرى المقدمة له، ما يؤدي إلى البحث عن كل ما هو أجنبي، الأمر الذي يؤدي إلى تحولات في البنية القيمية والثقافية (حفيظة محلب، 2016، ص 78).

وتظهر ثقافة الشباب في سلوكياتهم واتجاهاتهم وقيمهم ولغتهم وأنماط ملابسهم ومظهرهم، ويرجع البعض التغيرات التي تطال ثقافة الشباب إلى جملة آليات تشكل في مجموعها عوامل انتشار العولمة مثل التقنية العالية الدقة، الفضائيات، الهجرة وأسواق المال، غير أن الخطورة لا تكمن في الانفتاح المعقلن على ثقافة الآخر، وإنما في الانغماس في هذه الثقافة والانبهار بها إلى درجة تفضيلها على ثقافة مجتمعه، وهكذا تستحيل هذه الفئات من المنبهرين إلى آليات لاختراق ثقافي يستهدف النسيج الثقافي ويهدده بالذوبان في ثقافة الآخر المغاير، مما يخلق حالة من التناقض البنيوي داخل النسيج الاجتماعي في المجتمع الواحد بفعل ضعف الانسجام بين ثقافة الشباب وثقافة المجتمع ,ولاشك أن هذا هو أحد أهم أهداف العولمة بمنظوماتها المختلفة التي ترمي

على المدى البعيد الى تشكيل سلوك الانسان وتغيير عاداته وقولبة أفكاره بما يستجيب لمتطلبات النموذج الاجتماعي الغربي بكل ما يتضمنه ذلك من اغتراب الإنسان العربي المسلم عن ذاته الثقافية واستلابه من أصالته الحضارية.

ولعل واقع المجتمع العربي راهنا أشبه بذلك العالق في عنق الزجاجة، تتجاذبه قوتان، إحداهما قوى العصرنة التي يشده بهرجها وبريقها، والأخرى قوى الأصالة التي تشده بعراقتها وتجذرها في كيانه، وبين الشد والجذب بقي عالقا يُراوح مكانه (سلطان بلغيث، 2011، ص 353).

وإذا ما أشرنا إلى تطلعات الشباب لمستقبلهم، نجد أن هناك أراء على صعيد الموقف المبني وعلى صعيد السلوك اليومي المعاش، فهذان البعدان يحكمان تصرفات الشباب رغم الفارق القائم بين الموقف والسلوك، فالموقف عبارة عن نظرة تقييمية معينة للأحداث والأشياء والانسان والعلاقات، أما السلوك فهو تجسيد للموقف، أي أنه تكتيك الفعل إن لم يكن الفعل نفسه، لهذا يفترض على الشباب ازاء توقعاته اليومية أن يعي جيدا تطلعاته ورؤياه وآماله ورغباته للمستقبل، فالأساس الثقافي للشخصية ينطلق على الموقف المبني على السلوك والمعاش معا، أي الانتقال من المبدئي إلى العملي، وعلى ذلك يتمتع شباب اليوم بفرص غير مسبوقة لصنع أنفسهم وتشكيل هويتهم، فأصبح عالم الشاب الاجتماعي غني بتشكيلة كبرى من الخيارات والاجابات على كل الأسئلة التي يطرحها على نفسه، كل ما هنالك أن يكتشف الشباب أنفسهم ويحددوا مسارهم، لأن مواردهم كامنة في اعماقهم عندما يَعُون ذلك جيدا ويدركون قدراتهم، يمكن عندها أن يعيدوا ترتيب ذواتهم وفق الصورة التي يرغبون، ويبتعدون عن هواجسهم ويحققوا الآمال التي ينشدون (مأمون طريبه، 2012، ص 200).

5- الهوية والتغير الاجتماعي:

إن التكلم عن التغير الاجتماعي هنا لا يُقصد به معناه العام والشائع عند الكلاسيكيين أو المعاصرين من علماء الاجتماع، حيث يتم تحديد مفهوم التغير، ولا نقف على الاختلافات التي توجد بينه وبين مفاهيم أخرى، كالتحول الاجتماعي والتطور... إلخ.

فقد حاول " رشيد حمدوش" من خلال دراسته أن يتناول التغير نظريا وإمبريقيا والذي يؤدي إلى اتجاه الفرد (تصوراته، أفعاله)، ودرس قضية التحول التي عرفها ويعرفها المجتمع من المجتمع المحلي" التقليدي" إلى المجتمع التعاقدي" الحديث"، أو ذلك الانتقال من العلاقات المحلية" التقليدية" إلى العلاقات التعاقدية أو المجتمعات الحديثة.

ففي الفترات التي تعرف فيها المجتمعات تحولات على جميع الأصعدة وأزمات متعددة، نجد أن القواعد والضوابط الاجتماعية لم ترسخ بعد، كما نجد أن " معنويات" الأفراد قد أصيبت بالإحباط وسلوكياتهم غير متوازنة وغير مستقرة، ويشهد المجتمع الجزائري سرعة في التحولات وطبيعة هذه التحولات كمية بالإمكان قياسها وتحديدها إحصائيا، وأخرى كيفية وتشمل مختلف التصورات والتمثلات حول " الأنا"، "الأنت"، " الآخر"، "النحن"، أي مختلف المجموعات التي تشكل النسيج الاجتماعي، وتبلور آليات التفاعل والتواصل، وكذلك الاختلاف والصراع في أبعاده المتنوعة، ولقد شهد هذا المجتمع الانتقال من مجتمع يتهيكل حول المحلية والأهلية، إلى مجتمع يتميز بالانفتاح والتعقد، ولقد أبرز " فردناند تونيز" الاختلاف بين الشكلين من زاوية تطورية، تبرز المجتمع كنتيجة للبناء الاجتماعي الأول للمجموعة، الجماعة أو العشيرة، وهذا الانتقال يهمنا في هذا المجال، خاصة الانعكاسات على الهياكل الاجتماعية، والتصورات الاجتماعية للأفراد، ومنه على النموذج الحضري للعلاقات الاجتماعية المعاصرة

للمجتمع الجزائري، الذي لم يكتمل بعد، ويقول" ريجمونت بومان" في هذا المجال بأن نوعا جديدا من المجتمع ما زالت ملامحه غير واضحة، قد تظهر إلى الوجود، فنموذج تونيز يصور ذلك التطور للمجتمع من صفته المحلية/ التقليدية، إلى الصفة المجتمعية التعاقدية الحديثة.

وفي هذا الإطار يمكن التذكير بأن العديد من المفكرين وخاصة علماء الاجتماع، قد أقاموا نماذج مثالية تحدد التنظيم الاجتماعي، أساسها ثنائيات متضادة أو متناقضة، على غرار ما رأيناه مع تونيز (المجموعة المحلية والمجتمع)، أو دور كايم الذي يضع ثنائية على أساس التضامن العضوي والتضامن الآلي، كما نجد فيبر الذي يؤسس نموذجه على أساس النماذج التقليدية والنماذج العقلانية أو مرتون الذي يعتمد النموذج المحلي والنموذج المتفتح على العالم في أعماله، والقائمة طويلة، بحيث يمكن أن نذكر كذلك سوركين ونموذجه حول العائلية والتعاقدية.

أما فيما يخص بناء الهوية أو الذات، فإنه لا يختلف عن البناء وإعادة التشكل اللذان يشملان مختلف الهياكل والمؤسسات الاجتماعية، ذلك أن البنية القيمية تتغير باستمرار نتيجة الفعل الاجتماعي، الذي ينطلق من معايير مختلفة ومغايرة لمعايير الأهلية والمحلية (الجماعة أو المجموعة) (حمدوش رشيد، 2007، ص ص 160-161).

فمن خلال هذه الملاحظات الأولية، يمكن لنا أن نطرح التساؤل التالي: هل بالإمكان مواصلة اعتبار مثل تلك الشبكات التي يتم وفقها وعلى أساسها الواقع الجزائري المعاصر، شبكات صالحة؟، أم أن تطور المجتمع وتحوله يدعوا إلى تجاوز وسائل التناول التي سادت إلى حد الآن، فيما يخص على الأقل مسألة العلاقات الاجتماعية والرباط الاجتماعي وبناء الهوية، والتي تجعل من هذه العلاقات، علاقات أزمة، علاقات يسودها الازدواج وهي بالتالي علاقات لا يمكن دراستها إلا في إطار إشكالية التقاليد والحداثة.

لقد تميزت نهاية القرن الأخير بثورتين هامتين تشملان مجال الهندسة الوراثية والثورة المعلوماتية، وتكمن الأهمية في حدود هاتين الثورتين، حيث تلغى الحدود والمجالات الضيقة والفضاءات المغلقة أمامها بحكم طبيعة كل ثورة وأبعاد كل واحدة، لهذا تتغير وتتحول كل المعايير التي لها علاقة بالهوية والانتماء والأخلاق والقيم والفعل، ومثل هذه الأبعاد الجديدة ستعيد بلورة مجالات وامتدادات ومرجعيات السلوك، وكذلك معالم الإدراك والتصورات والتمثلات على المستوى الفردي والجماعي، ومن ثمة المفاهيم التي تتشكل باعتبارها حاوية لكل ذلك، ولقد مكنت سرعة المعلومة المدعمة بالصوت والصورة إلى انتقال العديد من نماذج السلوك من مجتمع لآخر، والانتقال ليس له بعد أو توجه واحد كما يعتقد، بل هو متعدد الأبعاد والاتجاهات، وعليه فإن التحولات والتغيرات التي تمت الإشارة إليها يمكن أن يكون منشأها غير محلي، لكن ذلك لا ينقص من قيمتها ومن فعاليتها، بل إن العكس هو الذي يحدث على اعتبار أن النماذج غير محلية يمكن أن تمثل شكلا من أشكال التمرد على بعض النماذج الفاعلة لعدة أسباب) (حمدوش رشيد، 2007، ص 163)

إن الأخذ بالدراسة والتحليل لبناء الهوية والذات معناه مساءلة " حدث اجتماعي كلي أو شامل" على حد تعبير م. موس، أي الحديث عن المجتمع بشكل واسع يمكن إدا الأخذ بالدراسة والتحليل لمسألة الهوية، بما يمكن أن تأخذه من معاني الامتداد والتواصل، أم القطيعة أو التحول والانتقال، اللهم إلا إذا كانت حدود هذه العملية هي الأخرى غامضة مما يؤدي إلى الاتخاذ من

التفاوض وإعادة استراتيجية هنا كذلك لبناء نمط أو أنماط جديدة من العلاقات ومن الهويات أكثر منه عملية فرض لنمط أو لآخر من العلاقات ومن الهويات.

إن الفرد في كل هذا هو الحامل للهوية، راعيها ومحولها ومغيرها، ولأن التحول والتغير هذا في مجال بناء الهوية هو عامل غير مستبعد وغير مستحيل، هذا ما يزيد من حدتها وأهميتها، أما الشيء الذي نراه بأنه يجعل من التغير شيء ممكن هو ربما ما يمكن تسميته بالتنظيم البنائي للهوية، هذا ما يؤدي بنا إلى الإشارة لأهمية عنصر الزمن الذي يتم فيه رواية والرجوع إلى الخطاب الذي يبنيه، ويرجع إليه الأفراد خاصة جذورهم الأسرية.

واعتبر حمدوش أن مسألة الهوية تعتبر عنصر هام باعتبارها احدى مكونات الواقع الذاتي، وباعتبار هذا الأخير يتواجد في علاقة جدلية مع المجتمع، فالهوية كما جاء مع حمدوش هي مكونة وتبنى على أساس عمليات اجتماعية واستراتيجيات يلجأ إليها الأفراد، وعندما تتجسد فهي تحفظ، تغير وتعدل، أو حتى يعاد بناؤها عن طريق عمليات التفاعل الاجتماعي، والعلاقات الاجتماعية التي تنسج في الواقع الاجتماعي (حمدوش رشيد، 2007، ص ص 64،68).

6- التكنولوجيا والتغير الاجتماعي:

هناك ارتباط واضح بين نمو التكنولوجيا والتغير الاجتماعي، فالشباب يشكلون الغالبية العظمى من أعضاء المجتمع العربي، وهم الأساس الذي يبنى عليه التقدم في كافة مجالات الحياة، باعتبارهم أكثر فئات المجتمع حيوية وقدرة ونشاطا، وإصرارا على العمل والعطاء وحب التجديد والرغبة الأكيدة في التغيير، مما يجعلهم أكثر قدرة على مواجهة مشكلات المستقبل وهذا في حد ذاته مطلب أساسي للتطوير والتغيير، ولذلك فإن دراسة الشباب بمعزل عن الإطار الاجتماعي والاقتصادي العام الذي يكوّن هيكل المجتمع، تعد دراسة تفتقد التوجيه النظري الصحيح الذي يقوم على ضرورة ربط الشباب بالبناء الاجتماعي والاقتصادي الأشمل، فحين يتم دراسة الشباب في اطار التنمية الاجتماعية والاقتصادية، فلابد أن يتم ربطهم بتيار التغير الاجتماعي في المجتمع المتجه نحو دعم التطوير العلمي والتكنولوجي والثقافي، وهذا التطوير يحتاج أساسا إلى المشاركة الايجابية من الشباب، تلك المشاركة التي تقوم بدورها على تدريبهم على إدراك مقومات التغيير واستيعابها، فتكون شخصياتهم أكثر قدرة على الإنجاز (سامية الساعاتي، 2003، ص ص17-18).

إن أهم ما يسهم فيه الشباب في مسيرة التنمية والتحديث والتغير هو ما يتمتعون به من قدرة على الإبداع والابتكار، فالشباب يتطلع باستمرار إلى تبني ما هو جديد ومن ثم فهم مصدر من مصادر التغير الاجتماعي، ومن الحقائق المعروفة أن كمال الثورة التكنولوجية هو أن يتحول الشباب العمال من مجرد عمال تنفيذيين مقيدين بالروتين والنظام الدقيق للعمل، أي مجرد توابع للآلة إلى عمال مبدعين قادرين على إيجاد حلول للمشكلات التي تواجههم أثناء أداء العمل، وينطبق ذلك على الشباب في كافة المجالات، ذلك أنهم أحوج ما يكونون إلى النظرة الإبداعية للعمل التي ينمي قدراتهم وامكاناتهم العقلية، وتزداد أهمية الشباب إذا علمنا أنهم يمثلون قوة العمل الأساسية في المجتمع، ومن ثم ينبغي دراسة اهتماماهم وأنماط سلوكهم إذا أردنا تطوير نظام العمل والانتاج في المجتمع ككل.

وقد حاول علماء الاجتماع أن يقدموا تصورا محددا لمعالجة قضايا الشباب في صلتها بمشكلات المجتمع المعاصر، واستطاعوا باستخدام مفاهيم التنمية والتكنولوجية والثقافة والمشاركة والثورة إلى الكشف عن الدور الذي يقوم به الشباب داخل البناء الاجتماعي للمجتمع المعاصر سواء في المجتمعات المتقدمة أو الأقل تقدما، فالشباب اليوم يشغل مكانة رئيسية في المجتمع وكذلك أوضاعه وثقافته وأنماط سلوكه ومشاركته الاجتماعية هي ظواهر ينبغي أن تخضع للبحث العلمي الدقيق، ويجب على الباحثين أن لا يتورطوا في تبني أطر فكرية مستوردة صنعت في مجتمعات غربية لا تلائم تحليلنا لقضايا الشباب في مجتمعنا العربي، الذي يعيش واقعا اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا مختلفا إلى حد كبير (سامية الساعاتي، 2003، ص 19).

5- الخاتمة:

من خلال ما تم عرضه من أفكار وما نعيشه يوميا في المجتمع الجزائري، يمكننا القول إن الحديث عن الهوية يبقى متشعبا حيث من الصعب حصره أو الالمام به ولكن مما لا شك فيه أن التكنولوجيا تعمل بدأب على مسح حدود وخصوصيات المجتمعات وطمس الهوية وهو ما يتجلى ظاهريا لدى فئة الشباب الجزائري الذي أصبح يتأرجح بين التمسك والمواكبة في مجتمع يشهد حركة ثقافية وديناميكية كبيرة. وعليه، يمكننا تصنيف فئة الشباب إلى ثلاث مجموعات تتشارك كلها في صعوبة التكيف الاجتماعي. أما الأولى فتتسم بوعيها بالأزمة وتفتخر بالإرث الثقافي وهي الفئة الأكثر تمسكا بهويتها الأصيلة. أما الثانية فتشمل اولئك الذين يعانون من الحرمان ويقعون تحت تأثير الاستهلاك بشتى الطرق بهدف اشباع حاجياتهم، فنجد أن هذه الفئة تتبنى موقفا متطرفا. أما الفئة الثالثة، فتشمل الأقلية من ميسوري الحال الذين يتبنون ثقافة أجنبية ورغم عيشهم على أرض الوطن إلا أنهم غالبا ما يعانون من أزمة هوية مواطنة.

6- قائمة المصادروالمراجع:

1- حنان عوض مختار، تقديم نبيل السمالوطي، **الهوية الثقافية الإسلامية في ظل المتغيرات المعاصرة**، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2016.

2- سامية الساعاتي، الشباب العربي والتغير الاجتماعي، الدار المصرية اللبنانية للنشر، ط1، القاهرة، مصر، 2003.

3- كيلي م_ هانوم، **الهوية الاجتماعية معرفة الذات وقيادة الآخرين**، تر خالد بن عبد الرحمن العوض، مكتبة العبيكان للنشر، السعودية، 2009.

4- مأمون طربيه، **السلوك الاجتماعي للأسرة، مقاربة معاصرة لمفاهيم علم الاجتماع العائلة**، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 2012.

5- محمد الكوخي، **سؤال الهوية في شمال إفريقيا التعدد والانصهار في و اقع الإنسان واللغة والثقافة والتاريخ**، إفريقيا الشرق للطبع، المغرب، 2014.

6- هارلمبس وهولبورن، **سوشيولوجيا الثقافة والهوية**، تر: حاتم حميد محسن، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2010.

7- بوخلخال علي، **تأثير المتغيرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية الراهنة على قيم المواطنة لدى الشباب الجز ائري في الفئة العمرية (15-39) سنة**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع والدراسات الديموغرافية، غير منشورة، جامعة الأغواط، 2017،2018.

8- حمدوش رشيد، **الاستر اتيجيات العلائقية، الرباط الاجتماعي وإشكالية التقاليد والحداثة من خلال التصورات الشبانية**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع الثقافي، غير منشورة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2006، 2007.

9- حفيظة محلب، **الشباب والهوية الثقافية الجز ائرية في ظل العولمة.بين جدلية القبول والرفض**، الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، العدد الثاني، مارس 2016.8-

10- سلطان بلغيث، **تمظهرات أزمة الهوية لدى الشباب**، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة ورقلة، المجلد3، العدد 5، الجزائر، 2011.

11- حمدوش رشيد، **بناء الهوية عند الشباب الجز ائري أو ميلاد الهويات الصاعدة**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد5، العدد 11، ورقلة، الجزائر، جوان 2013.

12- حمدوش رشيد، **مفهوم الشباب وعملية بناء الرباط الاجتماعي: عناصر للنقاش مع محاولة بناء نمطية للشباب في المجتمع الجز ائري المعاصر**، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد05، بسكرة، الجزائر، مارس، 2013.

13- عبد العليم محمد إسماعيل، www.aranthropos.com، تاريخ الاطلاع: 2022/12/28، الساعة 15:06.

14- منظمة الأمم المتحدة، www.un.org تاريخ الاطلاع: 2022/12/23، الساعة: 14:05سا.